خطاب الدكتور ابراهيم مدكور

رئيس اتحاد المجامع اللغوية العربية
رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة

كرد علي علم من أعلام النهضة السورية الفكرية والأدبية المعاصرة ، ورائد من كبار روادها . والمجتمعات البشرية بين سير ووقوف ، بين يقظة ونوم ، وما أحوجها في فترات وقوفها إلى من يبعث فيها الحياة والحركة ، وفي أزمان نومها إلى من يوقظها وينشطها . وتجود الأيام في أمثال هذه الظروف بدعاة النهوض والتقدم ، ورسل الإصلاح والتجديد ، وكأنما خلقوا لهذا وأعدوا له .

ولا شك في أن كرد علي واحد من هؤلاء الدعاة المصلحين . مُلىء حياة وحركة ، ومنح شجاعة نادرة ، أقدم بها ، في سن مبكر غير هياب ولا وجل ، على ميادين الإعلام والصحافة ، وما كان أشقها وأقساها في العقدين الأول والثاني من هذا القرن ، ويعد بحق أول رائد في الصحافة السورية . وتزوّد بزاد وفير من الثقافة القديمة والحديثة ، عربية كانت أو أجنبية ، فغاص في بحورها وأخرج منها النفائس الكريمة . وأعطى أمته وقوميته عطاءً سخياً ، دون نزوع إلى طائفية أو عنصرية .

وبرغم أن أباه كان كردياً وأن أمه كانت شركسية ، فإنه كان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مؤمناً بالعروبة إيماناً جازماً ، يعتد بأمجادها ، ويباهي بآثارها الحضارية والإنسانية . ومن آيات عروبته أنه كان يتعصب للأمويين ويدافع عنهم ، ولعل هذا كان مظهراً من مظاهر وطنيته وتعلقه بالشام ودمشق عاصمة ملكهم ، وكثيراً ما حمل على الشعوبية والشعوبيين . ومع هذا لم يكن جامداً ولا متزمتاً ، بل كان يدعو إلى التجديد في غير ما تطرف ، وإلى الأخذ عن الحضارة الغربية في غير ما عدوان على القيم والمبادىء الإسلامية ، وكان يحرص الحرص كله على الملاءمة بين القديم والحديث .

* * *

ومجال القول في كرد علي ذو سعة ، فقد كان صحفياً وسياسياً ، أديباً ولغوياً ، محققاً ومؤرخاً ، ويطول بنا الحديث لو عرضنا لجوانبه الفسيحة والغنية . ويعنينا أن نقف قليلاً عند كرد علي في مجمع القاهرة ، وصلته بمصر قديمة ووثيقة ، قصدها في فجر هذا القرن ، وتتلمذ مع من تتلمذوا لمحمد عبده ، فشهد مجالسه ، واستمع لحديثه ودرسه ، وأشبع في القاهرة هوايته الصحفية ، فكتب وحرر في صحفها ، وبخاصة في صحيفة المؤيد ، وأنشأ مجلة «المقتبس» الشهرية وتابع اصدارها في دمشق ، حيث تحولت بعد فيها إلى صحيفة يومية . وقضى في القاهرة بضع سنوات كانت مجال أخذ وعطاء ، وإفادة واستفادة ، وتعليق وتوجيه . وشاءت الصدف أن تثار فيها حين ذاك فكرة إنشاء مجمع لغوي يطور اللغة ويحميها من المولد والدخيل ، وسبق أن أنشىء فيها بالفعل عام ١٨٩٢ ما كان يسمى « مجمع البكري » الذي لم يعمر طويلاً . ولكن الفكرة لم تمت ، وبقيت حية نشيطة في العقد الأول من هذا القرن ، ولعل هذا كان ارهاصاً في العقد الثاني « لمجمع دار الكتب » في القاهرة ، وللمجمع العلمي العربي بدمشق . وقد عاصر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كرد علي هذا كله ، وعاش فيه ، ولم يكن غريباً أن يُختار أول رئيس لمجمع دمشق الذي ناضل طويلًا في سبيل دعمه ، وعمل جاهداً في نشر آثاره . وكان على صلة بالملك فؤاد الأول الذي تبنى فكرة انشاء مجمع لغوي رسمي يحقق ما هدفت اليه المجامع الأهلية التي أشرنا اليها ، وفي لقاء بينهما عام ١٩٢٦ شاء الملك أن يفيد من تجربة دمشق السابقة ، فقدم له كرد علي صورة صادقة ، ويمكن أن يعد بهذا ممن مهدوا لمجمع القاهرة .

وقد أريد بهذا المجمع يوم انشائه عام ١٩٣٢ أن يكون مجمع اللغة العربية أولاً ، قبل أن يكون مجمعاً مصرياً فكُوِّن من عشرين عضواً ، نصفهم من المصريين ، والنصف الآخر قسمة عادلة بين العرب والمستعربين ، وبدا هيئة عالمية لا اقليمية ، ومؤسسة أممية لا وطنية . وكان بين العرب التونسي ، واللبناني ، والعراقي ، واثنان من شيوخ السوريين ، هما المرحومان محمد كرد علي ، وعبد القادر المغربي . فكرد علي من المؤسسين الأوائل لمجمع القاهرة ، ومرحلة التأسيس من المراحل الدقيقة في حياة أي مشروع أو عمل : فيها توضع اللبنات الأولى ، وترسم الخطة ، ويحدد المنهج . وتنبه مجمعيو القاهرة لهـــذا كله ، فقضوا دوراتهم الأولى كلها تقريباً في وضع اللائحة الداخلية لمجمعهم ، بينوا فيها أهدافه ، وشرحوا نظم عمله ، وفرقوا في وضوح بين المجلس واللجان ، ورأوا أن الدراسة الحقة إنما تتم في قلب اللجان وعلى أيدي هيئة محدودة من الخبراء والمتخصصين ، وعلى هذا نسير حتى اليوم . فجمعوا في اختصار بين تجارب المشرق والمغرب ، وأفادوا من خبرة العرب والمستعربين . ولم يكن كرد علي بعيداً عن هؤلاء وهؤلاء ، فأتاحت له رحلاته المتلاحقة أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يتصل بعدد غير قليل من المستشرقين المعاصرين ، واختير بعضهم ، بوحي منه في الغالب ، عضواً مراسلاً بمجمع دمشق ، وأضحى علماً من أعلام الفكر والقلم في العالم العربي في الثلث الأول من هذا القرن .

قضى كرد علي في مجمع القاهرة نحو عشرين سنة ، زاملته في سبع منها ، وكان حريصاً الحرص كله على أن يشترك في أدوار انعقاده المتعاقبة ولم يتخلف عنها إلا لضرورة قاهرة . وكانت أطول مما تحظى به اليوم ، فكنا نقضي في مؤتمرنا السنوي وفي صحبة زملائنا العرب والمستعربين شهراً ونصفا على الأقل ، وقد نزيدها احياناً أسبوعاً أو أسبوعين . ولم يقنع كرد علي بالاشتراك في المؤتمر ، بل انضم الى عدد غير قليل من لجان المجمع ، فكان عضواً في لجنة الأصول ، ولجنة الآداب والفنون الجميلة ، ولجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية ، ولجنة الإحياء والطب ، ولجنة الأعلام الجغرافية .

ولكرد علي إسهام واضح في مؤتمر المجمع ولجانه ، فألقى في المؤتمر بعض الكلمات ، وعرض بعض المقترحات ، ونشر في مجلة المجمع طائفة من البحوث . واستمعوا إليه في افتتاح دور الانعقاد الثالث يقول : « بتوفيق الله أتم هذا المجمع دور الرضاعة حولين كاملين ، واليوم يدخل دور الحضانة . يتعهده أولياؤه ببالغ العناية ، ويربونه على نحو ما يربى الطفل في خير البيئات ، لأن حياته مما يهم خمسة وستين مليوناً من العرب ... إن من عهدت إليهم الولاية على هذا الطفل يشعرون أنهم في حاجة إلى العون من كل قادر على تغذيته بما يربي غرائزه ، ويفسح في ملكاته كلما تقدمت به السنون » تلك دعوة كريمة من مجمعي قديم ، يوم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن كان مجمع القاهرة في المهد ، ولا نزال نوجهها اليوم بعد أن جاوز هذا المجمع سن الأربعين .

أما مقترحاته وبحوثه فمتعددة ومتنوعة ، فهو الذي وجه النظر إلى ضرورة الإجابة عن سؤال السائلين واستفتاء المستفتين ، ودعا إلى نشر مقررات المجمع بين جماهير المثقفين ، ومتابعة ما يمكن أن يوجه اليها من نقد أو ملاحظة . وتلك ولا شك ثمرة من ثمار تجاربه طوال خمس عشرة سنة في مجمع دمشق قبل أن ينضم الى مجمع القاهرة . وله بحوث أكاديمية مثل « عجائب اللهجات » ، وأخرى عملية تطبيقية كاحياء بعض الألفاظ المهملة ، واقتراح ألفاظ جديدة تسد حاجات العلم والحضارة . وهو في هذا أميل بوجه عام الى إحياء اللفظ القديم السهل ، وفي اللغة كنوز لم يكشف عنها بعد . وكثيراً ما ندد باستعمالات حديثة سرت الى العربية عن طريق بعض اللغات الاجنبية شرقية كانت أو غربية .

ولنقف قليلًا عند بحث ألقاه في افتتاح مؤتمر الدورة الثانية عشرة ، بعنوان : « من عمل المجمعيين » ، وفيه مجموعة ضخمة في نحو خمسمائة كلمة فصيحة يقترحها نظائر لكلمات حضارية في اللغة الفرنسية ، ولم يخل من ملح وطرائف ، وفيه يقول في صراحة أخاذة : « المجالس في العادة تتناقش في المعاني ، ونحن معاشر المجمعيين أو اللغويين قضت علينا صناعتنا أن نقصر مناقشاتنا في الألفاظ ، والسعيد منا من يأتي بكلمات تستسيغها الأذواق جميعاً ، وتدخل في الكتب المدرسية من أيسر السبل ... ومع ما يلاقي المجمعيون من العناء في تحقيق غرضهم الشريف يعترض عليهم من يعرف ومن لا يعرف ، ويهزأ بعملهم كل من يبدو له أن يتسلى ... وغفر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الله لي بقدر ما دافعت عن المجمع في مصر والشام لتبرئته من التهمة التي ألصقوها به ظلما ، ونسبوا إليه وضع لفظ « الشاطر والمشطور والكامخ بينها » لكلمة « سندويتش » ... وغير نكير أن بعض اللغويين قد لا يراعون المقام في استعمال ألفاظ استظهروها ، يفرضونها على الناس فرضاً لا يراعون اعتبارات العصر ... واذكر أن أحد علماء اللغة في لبنان (رحمه الله) أصدر في القرن الماضي جريدة زراعية اسبوعية حشاها بكل ما في معاجم اللغة من عويص الألفاظ . وكنت يومئذ آخذ الأدب عن أحد المشايخ وكان إماماً في اللغة ، وما ان عرضت عليه الجريدة حتى ردها ، وقال إنها لا تفهم بدون شرح ، وحاولت فعلًا شرحها على طريقة الكتب الصفراء ، وفي شرحي لها اختلط رأسها بذنبها ، وامتزجت حواشيها الأربع بعضها ببعض . واذكر أيضاً أن أحد المشتغلين باللغة نقل عن الافرنجية كتاباً من كتب الأطفال أتى فيه بألفاظ الزمخشري والفيروزابادي . والغالب أن معظم اللغويين يحاولون لأول أمرهم أن ييسروا على طريقة الشنقيطي أجزل الله ثوابه في رصف شعره بما وعى من المفردات » . وواضح أن كرد علي يعبر في كل هذا عن عصر مضى ، وأصبحنا نؤمن جميعاً بأن اللغة للحياة ، وحياتها في أن تلائم أذواق الناطقين بها ، فتخف على مسامعهم ، وترق على ألسنتهم ، وتصدر عنهم ولا تفرض عليهم . وبهذا تستعيد العربية مجدها ، وتجد مكانتها بين اللغات العالمية الكبرى .

* * *

أيها السادة :

لقد قصرت حديثي في هذه الذكرى الكريمة ، كما رأيتم - على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جانب واحد من جوانب كرد علي ، وما أكثرها ، ولا أزعم أني وفيت هذا الجانب حقه . وكل ما قصدت هو أن أشير الى صلة وثيقة وقديمة بين مجمع دمشق ومجمع القاهرة ، عرف لها وزنها منذ البداية ، ولا نزال نعول عليها التعويل كله . وميدان البحث اللغوي فسيح ، وما أحوجه إلى أن تتضافر عليه الجهود ، وأن يضطلع به أولو العزم والقوة . واني لشاكر اصدق الشكر للسيد الدكتور حسني سبح رئيس مجمع دمشق وللسادة أعضائه أن أتاحوا لي الفرصة لكي أؤدي الأمانة ، وأقول كلمة الوفاء والتقدير في هذه المناسبة باسم مجمع القاهرة . رحم الله كرد علي رحمة واسعة ، وأحسن له الجزاء على ما قدم للغته وأمته ووطنه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net